مظاهرات ديسمبر 1960
ودورها في التحرير الوطني

د. جيلالي صاري

ثلاث أيام – السبت 10 والأحد11 والاثنين 12ديسمبر 1960 - قد غيرة تغييرا جبريا المعطيات الجوهرية لقضية الجزائر.

ثلاثة أيام منفردة وخالدة في تاريخ الكفاح بالجزائر الثائرة.

ثلاثة أيام حطمت فجأة ونهائيا أسطورة الجزائر الفرنسية داخل وخارج التراب الجزائري.

ثلاثة أيام ضربت ضربة قاضية السياسة الفرنسية والجنرال ديغول في الميدان.

ثلاثة أيام أفشلت جميع المناورات والأساطيل التي استغرقت سنوات طوال.

ثلاثة أيام أبرزت للعالم صمود وتصميم الجماهير وهي تقتحم الجيوش تحت النار الحديد نهارا و ليلا.

ثلاثة أيام أكدت للجميع عزيمة الشعب الصلبة، تلك العزيمة التي دعمتها وزكتها دماء الشهداء و دموع الأرامل و الأطفال منذ أكثر من ست سنوات.

ثلاثة أيام رددت من جديد صدى ديان بيان فو و أفردت من جديد لنفس الضباط الذين نجوا من الفيتنام عبر مختلف مدن الجزائر، فأصيبوا بهزيمة نفسانية بعدما ظنوا أنهم قد انتصروا في معركة مدينة الجزائر والغارات العظمى.

ثلاثة أيام أثبتت لضباط وقواد هذا الجيش فشل غارته الكبرى وحتى كل ما توصل إليه من تجارب سميت " بالحرب الثورية "...

ثلاثة أيام تم فيها مباشرة تطبيق حق تقرير المصير للجزائريين أمام مسمع ومنظر كل الملاحظين والمتتبعين للقضية الجزائرية.
تلك هي باختصار أهم مستنتجات أيام ديسمبر الخالدة فكيف اندلعت وتواصلت أثناء تلك الأيام المشهودة؟ ولماذا أخذت هذه الأبعاد.
للإجابة علينا بمعالجة مايلي:

- الانفجار الجماهيري.
- ديان بيان فو النفسية.
- ما بعد المظاهرات الشعبية.

1 - الانفجار الجماهيري:

لعل أن مثل هذا التصريح هو آخر خطاب للجنرال ديغول من مثل هذا الأسلوب والتعبير...

وأما رواية جريدة يومية موضوعية مثل يومية (Le Monde)، فهي تختلف عن اليومية السابقة الذكر إلا أن ذكر الأحداث الأولى لم تعط لها كل الأهمية وذلك أن المراسلة تمت في السويعات الأولى بالنسبة لكل ما صدر ونشر قبل بداية الأسبوع أي يوم الاثنين 12 وخاصة بعد ما عاين المبعوث الخاص الّأحداث وخصص لها مقالا بارزا بالإضافة إلى افتتاحية بالغة الأهمية صدرت يوم الثلاثاء في

المكان المخصص عادة إلى الافتتاحيات التي تعالج القضايا العالمية المصيرية على الإطلاق.

2 - شاهدات معينة:

وكل هذا يحتاج إلى تفاصيل باحترام التسلسل الزمني قبل كل شيء، والواقع أن كل من فيلم الأحداث ساعة بعد ساعة ليومي السبت والأحد، والمقالة القيمة للمبعوث الخاصة والافتتاحية تكاملت، وهي تمثل كلها تحاليل موضوعية للموضوع وإن كانت هناك نقطا غامضة نحاول أو نوضحها بواسطة شهادات أو بالأحرى أن تتجاوزها بالتحاليل.

والواقع أن الفيلم لا يسلط الأضواء إلا على أماكم معينة وأغلبها وأهمها يختص بقلب المدينة (الجزائر) بالقرب من الجامعة، والبريد المركزي، والشارع الرئيسي أي ميشلي إلى قصر المقر الصيفي للوالي العام، وأما الأحياء الحساسة الأخرى فهي لا تبرز إلا في الأخير وزيادة على ذلك فإن هذه الأضواء لا تخص غالبا إلا في ما يجري بين الأوروبيين ومختلف عناصر الوحدات المكلفة بحفظ الأمن وحراس الجمهورية، وبعض المطليين.

هذا وهناك أحيانا تعابير تستغني عن كل تعاليق مثل:" انفجارات"، أو" انفجار "، "انسحاب رجال الدرك " وخاصة مجيء ثلاث طائرات

محملة من حراس الجمهورية من فرنسا واشتباكات بين الجاليتين إلى آخر...

ولكن سرعان ما تأكدت للرأي العام الحوادث في اليوم الثاني أي يوم الأحد ابتداء من الساعة العاشرة صباحا حينما توجهت أمواج المتظاهرين نحو وسط المدينة وهم يحملون أعلام جبهة التحرير وأمامهم الأوربيون يحملون الأسلحة والجيش الفرنسي بالمرصاد واحد الضباط يصرح ما يأتي:

" كنا بالأوراس لمحاربة جبهة التحرير الوطني وهاهم يأتون بنا هنا نشاهد(تصقين الجزائر الفرنسية) في قلب مدينة الجزائر".

ونصف ساعة بعد ذلك وإذا بحريق كبير يصيب خزان بنزين ثم بعد ذلك تعالت أناشيد المتظاهرين، بل أناشيد الجبال حسب تعبير الصحفي، ثم تسمع بعد ذلك زغاريد النساء والصحفي يؤكد دور النساء وهن في مقدمة المظاهرات الشعبية، والعلم في أيديهن السافرات، والغاليان يشتد من آن إلى آخر عبر عدة أحياء وبالأخص بالقرب من شارع ليون، وكذلك بالقرب من حي العتيق ونقط مختلفة أخرى إلى أن جاءت الساعة الثامنة ليلا وهو بداية منع التجول.

وهكذا فإن اليوم الثاني قد غير الوضعية تغييرا كليا حسب هذه المعلومات العامة والوجيزة، و للمزيد عن ذلك من انتظار نشر ما جاء يوم الثلاثاء بالنسبة لهذه اليومية التي بذلت جهدا معتبرا بعدما تجول مبعوثها الخاص (a.Jacob) في أهم الأحياء وتحدث مع بعض المواطنين فأعربوا له عن أعماق مشاعرهم وهم مؤمنون بالمصير الحتمي.

و عليه علينا بتقديم أهم ما جاء في الافتتاحية أولا:

"إنه لبالنسبة لمعظم زملائنا أن هذا الأحد الدموي قد أظهر ساعة الحقيقة، أي نهاية الأكاذيب والأوهام..."

"أن الأعلام ولافتات جبهة التحرير الوطني في قلب مدينة الجزائر قد بينت من جديد بطلان أسطورة الجزائر الفرنسية.

و أما التعليق الذي صدر يوم 14 ديسمبر فهو أوضح من ذلك وأكثر تأثيرا عما سبق خاصة وأنه موجه إلى الرأي الفرنسي و الدولي، وأما بالنسبة للجالية الأوروبية بالجزائر فإن اليومية قد حرمت بالجزائر يومين متواليين إذ أنها لم تنشر:

"إنه لم يلاحظ قط من قبل ومنذ بداية اندلاع حرب الجزائر المشاعر الوطنية بكل صراحة و بكل قوة و بكل يقين، و يوم الاثنين زوالا وبالحي العتيق لقد نظم الشبان أمام الصحافيين الأجانب عروضا

تناولوا فيها استقلال الجزائر ثم أضاف الصحفي قائلا حينما تأثر بمشهد رجل هرم:

"إنني لا اعرف بعد من أين خرج ذلك الرجل صاحب عمامة والذي يحمل في رأس عصاه قطعتين من النسيج واحدة بيضاء والثانية حمراء ومثل هذه الصورة لتعبير واضح للشعور العميق والثقة الكاملة بالروح الوطنية أثناء تلك الأيام الخالدة، بل أكثر من ذلك فإن وجود الأشخاص من صغار وكبار، ورجال ونساء وهم يحملون الألوان المذكورة لتأكيد على مثل تلك المشاعر، خاصة وإنهم أمام نارين، نار الأوربيين وهم غير مسلحين وبعضهم يعتدون عليهم من أعلى الشرفات، ونار رجال حفظ الأمن من جنود، ودرك ووحدات متخصصة، إن كان بعض الوحدات لا تتدخل بعنف كما كان ذلك في السابق.

ومثل هذا المشهد العام كثيرا ما يتغير فجأة حينما تحدث مشادات متبوعة بطلقات نارية، قصيرة أو طويلة بينما أن الجثث مبسوطة على الطريق، وهو الأمر المشاهد بساحة باب الوادي، وقد التمس ذلك الصحفي شخصيا، بل رأى الأوربيين يقومون بما سماه بالصيد وهم حاملون الأسلحة من مسدسات وعصي وغير ذلك، وقد سجل الصحفي عدة مشاهد من الاعتداءات، وما تعويض رجال الأمن

بالمظليين إلا تأكيد على خطوة الوضعية وبالأخص في الحي المذكور.

هذا وحينما تنقل الصحفي من هذا الحي إلى وسط المدينة ثم إلى حي بلكور والعناصر قد لاحظ جماعات الأوربيين المهددين والحاملين على رؤوسهم قبعات وفي أيديهم العصي وهو يبحثون عن المتظاهرين المسلمين، ويقول الصحفي أنه أحيانا أن رجال الأمن قد توصلوا لإيقاف الاشتباكات بين الفريقين.. لكن يوم الأحد قد تمت حصيلة أولية تتضمن 60 قتيلا، وقد صرح ناطق للجيش إن قواته لا تطلق النار إلا إذا أطلق عليها النار، وكل هذا يؤكد وان العدو واحد بالنسبة للمتظاهرين المسلمين وبالتالي إنها لملاحظة في محلها ولا بد من اعتبارها من الآن فصاعدا لأنها في صالح بعض التأويل كما سنراه فيما بعد.

وفي الأخير يختم الصحفي مقالته بملاحظة أخرى لا تقل أهمية وهي تتعلق بتدخل وحدات خاصة لرجال الأمن وهي وحدات المظليين وقد وضح ذلك بأن مثل هذه الوحدات تمثل السلطة و الشجاعة والاطمئنان بالنسبة لأوربيين بينما أنها تمثل رموز الهمجية و التقتيل و القمع والإبادة بالنسبة للمسلمين نظرا إلى مواقفهم من قبل أي منذ اندلاع الاضطراب العام في آخر شهر جانفي 1957 كما حللنا ذلك في القسم الأول من هذا البحث.

وتدخل هذه الوحدات في هذه الأيام الثلاثة له أكثر من دلالة، وإن كانت الوضعية استثنائية،خاصة وان التجاء إلى هذه الوحدات في ظروف معينة للجيش الفرنسي يتنافى تماما نظرا إلى تمرد بعض الضباط التابعين لهذه الوحدات، وبذلك يطرح مشكل جديد على مستوى الجيش نفسه قد يبرز في الأشهر المتوالية، فهي إذن مؤشرات جديدة لحوادث أخرى متوقعة خلال سنة 1961...

وقبل التطرق إلى ذلك علينا باستخلاص هذه المظاهرات على المستوى السياسي قبل كل شيء أي استدراك معاني هذا الانفجار الشعبي وما يتضمنه من دروس بالنسبة لكل من تجاهل الأحداث حتى الآن وفقد التبصر، أي الواقع و الحتمية التاريخية، داخل وخارج الجزائر.

3 -واقعية حق تقرير المصير قبل التطبيق :

"إن الجزائر تعيش مستقلة...ذلك هو صوت شعب متعطش للحرية " إن هذا الصراخ المنبثق من أعماق النفوس وتحت النار و الرصاص و الأمطار الغزيرة التي ميزت تلك الأيام الخالدة عبر عدد من مدن الجزائر وفي أن واحد تقريبا وبدون تنظيم مسبق وخلافا لما حدث بالنسبة إضراب العام لثمانية أيام...إذن ذلك الصراخ المركز في أدل التعابير ليعد تقرير المصير أمام الصحافيين الأجانب والمراسلين

والمصورين وبالتالي أمام كل من شاهد ببعد صور الجماهير و هي تصرخ وتكرر كلمات الحرية و الاستقلال وتحيا الجزائر وكل الكلمات و الشعارات التي تواصل الكفاح من اجلها منذ ست سنوات ...

وأكثر من ذلك فقد تميزت هذه المظاهرات كما وأوضحت ذلك التعاليق الصحافية و الإذاعية و التلفزية برموز معينة لا جدال فيها لا التباس ،وهي ألوان العلم الجزائري أي الألوان الثلاث أي الأبيض و الأخضر ثم الأحمر للهلال و النجم، وأحيانا فقد صعب تحضير هذا العلم نظرا إلى انعدام التنظيم وتوفير المواد وبالتالي رغبة المشاركة مباشرة، وفي مثل هذه الظروف فقد التجأ المتظاهرون إلى استعمال ما قد يعبر عن العلم أي الاكتفاء بقطعتين من النسيج ذات اللونين الأحمر و الأخضر كما كان الشأن بالنسبة لذلك الهرم،وكما لوحظ في عدة أماكن.

هذا وقد استغل المتظاهرون هذه الفرصة الثمينة ليبينوا بكل وضوح تفهمهم ونضجهم أمام خطورة الوضع الراهن، وبالفعل كانت هناك عدة شعارات دقيقة للغلاية تتماشى ومتطلبات المرحلة السياسية الحاسمة، أي مرحلة كيفية تطبيق حق تقرير المصير وكذلك ضرورة فتح المفاوضات بين الجانبين من جهة، ومن جهة

أخرى أيضا مناورات الجنرال ديغول وغموض سياسته... وما هي إذن الشعارات التي جاءت في هذا المضمار يا ترى".

لقد ذكرنا البعض منها وعلينا أن نقتصر على الأهم حسب ما جاء بالأخص في يومية (Le Monde).

" مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني"، " تحيا جبهة التحرير الوطني"،" يسقط ديغول"،" الجزائر مسلمة"، " يحيا فرحات عباس"، "أطلقوا سراح بن بلة والخمسة". والواقع أن القائمة طويلة ولكل شعار أكثر من دلالة بل برنامج وأطروحة، يحتاج إلى تحاليل وتأويل من أجل تدعيم ساسة جبهة التحرير كما هو الشأن بالشعار الأول أي مطالبة فتح المفاوضات مع الممثلين الشرعيين للمجاهدين وهو ما يعارضه الجنرال ديغول ولذلك سجل الصحافيون ما يدعم ذلك مثل" يسقط ديغول "ونفس الملاحظة تتعلق أيضا" بيحيا فرحات عباس" ألا وهو الممثل الأول والشرعي للشعب المكافح بينما إن فشل اللقاء الأول الذي تم في مدينة مولان إنما يعود إلى هذا العامل بصفة خاصة.

وهكذا يتجلى لنا بكل وضوح وقع المعاني الهامة لهذا الخطاب الاستثنائي لهذه الشعارات المغبر عنها في ديكور خاص، في شوارع عديدة من المدن الجزائرية والمعني بالأمر ألا وهو الجنرال ديغول في

عين المكان، وبالفعل وإن كان قد امتنع من زيارة مدينتي وهران والجزائر، فقد زار عين تيموشنت وتلمسان والأصنام وشرشال. وبجاية وأقبو ... وقد شاهد مباشرة الأعلام الجزائرية، كما سنوضح ذلك وسمع بعض الشعارات، وهو يبعد عنها وهو ينتقل من مدينة إلى أخرى.

ولعل ما يعبر عن كل هذا ويلخصه ويركز عليه ما جاء في مقالة المراسل الخاص ليومية (Le Monde) والمنشورة يوم 13ديسمبر وفي الصفحة الأولى فقد صرح لهذا المبعوث شاب لا يتجاوز الخمس وعشرين سنة وهو يعمل في الإدارة.

" نريد أن نتفاوض ديغول مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وقد أضاف قائلا حرفيا:

" ليس هناك أي استفتاء غير هذا"

ثم وضح ذلك وعلله بحجة قاطعة لا جدال فيها.

"و المنتخبون لم يكونوا أحرار قط في هذا البلد".

وأما الحملة التالية فكانت بمثابة خلاصة ولكن أيضا بمثابة تنبؤ ونضج سياسي ممتاز هذا:

" لسنا ضد ديغول ولا ضد فرنسا ، إننا ضد المستعمرين !!".

وأخيرا علق الصحفي على هذا التدخل بالأخلاق و القيم المشخصة لهذا الشاب.

وهكذا نتوصل إلى استخلاص هذه المظاهرات التي كانت بحق وبكل موضوعية مرآة صادقة لتعلق الشعب بأهداف نوفمبر أي إيمانه المتين في الحرية و الاستقلال، فكل ذلك قد تجلى للعالم وقد اقتنع بذلك كل من شاهد المظاهرات عن قرب أو بعد.

ولكن مثل هذا المنعرج لا زال يحتاج إلى بعض الأضواء و التآويل نود أن نعالجها في الفصل التالي .

2 - ديان بيان فو النفسية :

تلك هي الخلاصة التي توصل إليها الناطق الرسمي لأركان الحرب داخل مقر الولاية العامة وهو يصرح قائلا : " إننا تكبدنا ديان بيان فو النفسية "في مساء يوم الأحد اليوم الثاني للمظاهرات الشعبية وبالفعل إن الأضواء المسلطة حتى الآن على الجوانب والنقاط المذكورة لازالت تحتاج إلى تفاصيل وبعض المفاهيم ، ولذا يتحتم علينا أن نتجاوز المصادر المحللة وأن نأتي بمصادر أخرى خاصة إذا كانت تتناول الجوانب المكملة والتي تسمح بتفهم مجرى الأحداث .

ومن أجل هذا اعتمدنا على وثاق أخرى تتمثل في نشر شهادات دقيقة، وكذلك ثلاثة مقالات أخرى امتازت بالتركيز والموضوعية، خاصة وأنها متكاملة ودقيقة.

1 -ظروف ومعاني اندلاع المظاهرات اثر بداية زيارة الجنرال ديغــول :

إن الوثيقة التالية الخاصة بهذا الحادث لتكتسي أهمية كبرى وذلك أنها تكشف النقاب عن الظروف التي حدثت فيها أولى المظاهرات، وهي الظروف التي لم تتعرض إليها آنذاك الصحافة ولذلك أن هذه الأخيرة اشتغلت بما حدث بعد ذلك، أي في مدينتي الجزائر ثم وهران.

وعليه فإن الوثيقة التالية وإن كانت وجيزة وهي تحتاج إلى الشرح والتعاليق، فقد نشرت أخيرا بمناسبة الاحتفال بذكرى 32 سنة لتلك المظاهرات وهي شهادة شاب يبلغ آنذاك...16 سنة وكان يسكن في مدينة تلمسان وقد شترك في هذه المظاهرات ونظرا إلى سنة وتأثره بالأحداث المجيدة وما شاهده فقد تذكر ذلك كله وبقيت ذاكرته وفية به وبذلك استطاع أن يروي المــشاهد بكل دقة [2].

وها هو بعدما ذكر ظروف المظاهرات أي الزيارة الرئاسية وقدوم الموكب الرئاسي إلى دار البلدية ليتكلم عن حادث مهم جدا قبل الشروع في وصف المظاهرات، فالحادث يتمثل في سبب قدوم ديغول

إلى البلدية، وهذا السبب يتمثل في لقاء الجنرال ديغول بأعيان مدينة تلمسان، أي في الأشخاص الذين يحاول أن يقنعهم بسياسته: الجزائر جزائرية، وبتعبير آخر إقناع القوة الثالثة، وبالفعل فإن هؤلاء الأعيان أشخاص لهم مرتبة معينة في المجتمع المحلي .

وعلى كل فإن السيد أحمد شلوفي وهو صاحب الشهادة موجود مع المتظاهرين وهو يسمع" يحي ديغول " التي يرددها الشبان الأوربيون، وكذلك الجزائر جزائرية .

وفي هذا الوقت قد نسينا أننا في ميدان العدو (وهو يعني أن هذا المكان كان دائما مخصصا للغير أي للجالية المعادية) ونحن أمام الأوربيين المسلحين حتى الأسنان "فنادينا " تحيا الجزائر، تحيا الجزائر ".

ثم أضاف أن الصحفيين الفرنسيين الذين جاءوا لتغطية الحدث قد تفاجأوا ثم قدم البعض منهم فصرح قائلا :" إننا نريد استقلال الجزائر ، يحيا فرحات عباس " ومثل هذا المشهد لاجتناب أي حادث أمام الملاحظين الأجانب ،ثم واصل شهادته عن ما جاء في أهم الأحياء بمدينة الجزائر وزغاريد النساء تتردد بأعلى الأصوات، وهو الأمر الذي شجع الشباب في مدينة تلمسان لاستئناف المظاهرات في اليوم الثاني، فاستعد لليوم الثاني حينما تأثروا لعدد الضحايا المعلن عنها في الراديو و التي وقعت في مدينة الجزائر .

وهاهو يبين الظروف التي تم فيها صنع العلم الجزائري فقد تم في دكان داخل فندق بالحي العتيق للمدينة أي حي المدرس (الشهداء حاليا)، وكان النسيج المستعمل من مصدر المادة التي كانت تخصص لصنع أحذية الفقراء (Espadrilles) أي من نسيج ومطاط..

وقال أنه في البداية كان عدد المتظاهرين لم يتجاوز المائة وكلهم من تلاميذ الثانوية لكن بمجرد ما انطلقوا من شارع ابن خلدون ،مئات من الصغار خرجوا وانضموا إليهم وتوجهوا إلى الأحياء الأوربية وهم يرددون الجزائر ، الجزائر مسلمة ، يحيا فرحات عباس ، حرروا بن بلة "وقد وصلت الأمواج بالقرب من ساحة مقر دار البلدية ولكن سرعان ما وصل المظليون وتصدوا لهم بعزم وحينما أراد المتظاهرون الرجوع إلى الوراء تعرضوا إلى جنود آخرين كانوا بالوراء وما بقي لهم إلا أن يلتجئوا إلى المنازل بعد فتح أبوابها من طرف ربات الديار ، فجأة أصبحت المدينة محاصرة ففرض منع التجول ، وذلك أن السلطات كانت تخشى ما حدث إثر قتل لحكيم ابن زرجب في جانفي 1956.

تلك هي إذن مجرى المظاهرات بهذه المدينة فهي توضح بكل إيضاح المعاني السامية ، فقد كانت ذاتية ومبادرة من شبان بل رد فعل لمظاهرات الأوربيين –أراد هؤلاء الشبان أن يعبروا عن مشاعرهم أمام الأجانب وبشهادة من هؤلاء كما أنهم صرحوا بما كان يتطلب الوضع فصرحوا ما صرح به في المدن الأخرى ، وكان

الخطاب السياسي المنتظر من طرف الرأي الدولي أي الضرورة القصوى لفتح المفاوضات بين الجانبين ، و الخطاب موجه أيضا وقبل كل شيء للجنرال ديغول نفسه وهكذا فإن هؤلاء الشبان قد لقنوا هذا الأخير درسا تاريخيا يستغنى عن كل التعاليق فضربوا القوة الثالثة ضربة قاضية ، فهل اعتبر ذلك الجنرال ديغول وهو يدخل مقر دار البلدية بتلمسان؟

وعلى كل أن هذا الموقف التاريخي لهؤلاء الشبان ليس بالمفاجئ إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المعطيات التالية والتي لم تكن بالحسبان بالنسبة لسياسة الفرنسيين، وهي تلك المعطيات الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية لهذه المدينة نفسها، إن هذه المدينة قد عانت الكثير خلال ست سنوات من الكفاح، وهؤلاء المتظاهرون ينتمون إلى عائلات قد قدمت النفيس والتضحيات الجسام خلال تلك المدة وهؤلاء المتظاهرون يتتبعون بفارغ الصبر ما يجري هنا وهناك وبالفعل فأنباء مدينة الجزائر قد شجعتهم على مواصلة المظاهرات.

وكل هذا يؤكد من جديد وأكثر مما مضى أن السمك في الماء أي أن هؤلاء المتظاهرين من الثورة الجزائرية، فهم منها وإليها، فهم جزء لا يتجزأ، و الجبهة لها واقع في الأوساط الشعبية، وما صوتها وشعاراتها إلا ذلك الصوت وذلك الشعار الذي تعالي في المظاهرات هنا وهناك.

وما يقال بصدد مظاهرات تلمسان يلاحظ تقريب في عدد من المدن الأخرى التي كانت مبرمجة أثناء الرحلة الاستطلاعية لرئيس الجمهورية الفرنسية انطلاقا من رمز الاقتصاد الاستعماري إلا وهي مدينة عين تيموشنت حيث سجل أولى صور التناقض و الصراع بين الجاليتين المتظاهرتين بمجرد انطلاق مراسيم الزيارة الرئيسية وإن كانت الأنظار غير واعية بالصورة الأولى، تلك الصورة ذات المعاني الجوهرية.

وعليه علينا بالاهتمام كل الاهتمام باستنتاجات مظاهرات أكبر مدينة بالجزائر وهي المدينة التي تعبر وحدها عن كل ما جرى وحدث أثناء الأيام الثلاثة الخالدة للثورة الجزائرية.

2 -نتائج المظاهرات التاريخية:

زيادة عما تقدم و الوصول إلى بعض النقاط الحساسة و المعبرة عن عمق، وذاتية، وأصالة هذه المظاهرات الشعبية. فإن البحث لا زال يحتاج إلى توضيحات أكثر دقة، خاصة وان مثال مدينة الجزائر يسلط الأضواء على معظم الأسباب القريبة والبعيدة وذات الشمولية والأبعاد السياسية، وكل ذلك يتواصل أمام الملاحظين و المتتبعين للقضية الجزائرية، من قريب وبعيد بفضل وجود الصحافة العالمية.

-ظروف اندلاع المظاهرات:

هناك معطيات خاصة بأكبر المدن الجزائرية فهي مركز السلطتين : العسكرية والسياسية وكذلك سلطة ثالثة وهي سلطة

النخبة الاستعمارية التي لها علاقة وثيقة بالسلطتين الأوليتين والتي تسيطر عليها كثيرا وأكثر مما مضى وبالضبط منذ حوادث 13 ماي 1958 وكما أكدته أيضا وأكثر حوادث أسبوع الحواجز في نهاية شهر 3 جانفي 1960 خاصة وأن محاكمة مرتكبي هذه الحوادث الأخيرة متواصلة وأثرت على مجرى الأحداث الحالية ...خلال شهر نوفمبر 1960، وقد ساد هذا الجو العام حملة شاملة قامت بشنها كل الأوساط المدعمة لسياسة الجزائر الفرنسية داخل وخارج الجزائر وهذه الأوساط تضم بفرنسا اليمين وحتى رئيس الحكومة نفسه أي ميشال دبري الذي اضطر إلى تقديم استقالته في منتصف هذا الشهر والتي رفضت،وأما بالجزائر فهناك استقالات معينة نظرا إلى تحركات المتطرفين وتمرد بعض الضباط.

ومما أزم الوضع هو خطاب رئيس لجمهورية الخاص بالجزائر الجزائرية المتناقض مع سياسة الجزائرية فرنسية وقد صدر بيان يوم 16 نوفمبر انعقاد مجلس الوزراء بباريس تضمن نشر مشروع قانون خاص بتنظيم السلطات العامة بالجزائر في انتظار تطبيق حق تقرير "المصير" وقد تم إنشاء يوم 22نوفمبر وزارة الشؤون الجزائرية والتي أشرف عليها لوي جوكس الذي كان يتولى وزارة التربية الوطنية، وقد أصبح هذا الوزير مسؤولا أمام رئيس الجمهورية مباشرة ،وليس رئيس الحكومة ، كما انه تم تعيين نائب عام جديد .

هذا داخل البرلمان هناك تحركات لبعض النواب في صالح المتطرفين وهم يصرحون دائما على تشبثهم بالمبادئ الاستعمارية والتالي المعارضة لكل سياسة تقدمية.

وهكذا حينما قرر الجنرال ديغول القيام بزيارة استطلاعية أرادت كل الأوساط المتطرفة بالجزائر بمقاطعة هذه الزيارة بل تجنيد وأرادت أن تستغل هذه الفرصة لتبرهن من جديد عن معارضتها لسياسة حق تقرير المصير ،والواقع قد أخذت كل التدابير من أجل فرض واقع جديد ربما يكن بمثابة حوادث 13 ماي 1958.

وعلى كل فقد قررت الإضراب العام بمجرد تحديد زيارة رئيس الجمهورية والشروع فيها أي ابتداء من يوم الجمعة 9 ديسمبر، وهذا الإضراب يخص الأوربيين وحتى المسلمين و بالأخص بمدينة الجزائر و ذلك أن هذه المشاركة تكون البرهان القاطع لفشل سياسة حق تقرير المصير...

وأمام هذا كله فقد أخذت إجراءات مشددة بالجزائر تفاديا لكل التجاوزات كما أن بعض الأوساط للجيش أرادت أيضا أن تلجئ كعادتها إلى استعمال بعض السكان المسلمين في حشود موكب استقبال رئيس الجمهورية ،وهذه العملية في الواقع عادية وقد استمرت في عدة مناسبات ممثلة، وقد تمت بالفعل وبالأخص في كل من مدينتي تيموشنت وتلمسان وقد رأينا كيف كان رد الفعل

من فئة تلامذة الثانوية ،فكيف كان ذلك في مدينة الجزائر يا ترى ؟.

-استجابة المتظاهرين للمتطلبات:

اندلاع الحوادث وتسلسلها يوم السبت بمدينة الجزائر فاجأت الجمع بما في ذلك من برمجها وخططها من قبل، أي كل الموالين للأوربيين المتطرفين بحيث كما بين ذلك الفرع الموجود في عين المكان أنه في نفس ذلك اليوم وعلى الساعة الثانية فإن ميلشيات المتطرفين الذين كانوا يتظاهرون بالقرب من الكليات قد اندهشوا فجأة بمظاهرات أخرى مضادة نظمت من طرف الشبان المسلمين على بعد كيلومترين من ذلك أي في أحياء بلكور والعناصر وصالمبيي، وهذه المظاهرات لن تشاهد منذ 20أوت 1955[4].

وتلك المظاهرة كيف حدثت؟ الإجابة تتلخص وتبرز من الشهادات الثلاثة التي تمتاز بالموضوعية، وما علينا إلا بالرجوع إلى ما سجله آنذاك مبعوث يومية Le Monde حينما اعتمد على تصريح شاب .

"كنت في شارع ليون (حي بلكور) حينما طلب مني أوربي يرتدي اللباس المدني (وإن كان تابع إلى الوحدات المجند رسميا) بطاقة التعريف في يده مسدس عيار 7.65وحينئذ كنا نراهم يضعون الحواجز ونحن لا نتدخل في هذه العملية ،ولكن أمام ذلك قلت لأصحابي هل نقبل شتمهم بدون رد فعلن وبعد ذلك اندلعت

المشادات وحينا جرد الأوربي من سلاحه وأطلقت النار من طرف الأوربيين فكان هناك جريحا ثم قمنا بتكسير الزجاج بمتاجر الأوربيين ...وتعرفون ما حدث بعد ذلك [5]! " ثم أضاف شاب آخر قائلا :

"لقد شرعنا بالتظاهرات والإعلام ترفرف ولكن في الهدوء، وكنا في الشارع حينما أطلق الأوربيون النار علينا من النوافذ فسقط الموتى والجرحى فكان رد الفعل بتحطيم السيارات ورمي الأحجار.!"[6]

هكذا تتجلى لنا ظروف الاندلاع وهي تؤكد ما حدث بتلمسان بالأخص ففي كلا المدنيين البعيدين أي ذاتية التظاهرات، أنها لدقائق حاسمة ومصيرية، فقد كانت دقائق الحقيقة، الدقائق التي أظهرت للعالم مشروعية الكفاح،تلك المشروعية التي رفضتها الحومة الفرنسية والحكومة الغربية، وذلك الرفض الذي أكدته المحكمة العسكرية بباريس أثناء محاكمة شبكة جانسون خلال شهر المنصرم.

إنها إذن دقائق مصيرية غيرت جذريا كل المعطيات كما رأينا وذلك أن هذه المظاهرات المنحصرة في حي بلكور قد توسعت بسرعة إلى الأحياء المجاورة لها،فانطلقت إلى العناصر ثم الأحياء المطلة عليها وهي أحياء قصديرية ففجرت الجمهور الذي اصطدم بالأوربيين

...ومن هناك انتقلت التظاهرات إلى الحي العتيق أي القصبة وما جاورها.

هذا وحينما جاء الليل تهيأت العائلات واستعدت دخل المنازل لصناعة الأعلام وأصبحت آلات الخياطة تقوم مقام تاكسي (Le Marne) أو دراجات الفياتنام " كما قال وأوضح ذلك عبد القادر كالاش.[7].

ومن المعلوم وكما أوضح ذلك نفس الكاتب وبعد اندلاع هذه المظاهرات الشعبية فقد تبنتها المنطقة الحرة لمدينة الجزائر وبالأخص القبطان سي زبير (رشاي) والملازم سي جمال .

وفي الأحد تواصلت المظاهرات في الصباح ابتداء من الساعة التاسعة والنصف بشارع ليون ثم الأحياء الآخرى وكانت أكثر شمولية واكبر وقعا وتأثيرا كما عبر عن ذلك ما رواه المبعوث الخاص لجريدة (Le Monde)حينما التقى داخل مقر الولاية العامة بالجزائر وبالقرب من مكتب المندوب العام ، أي في قلب ذلك المقر،ومن طرف المقدم ، مار وهو الناطق الرسمي لأركان الحرب ،وكأنه أصيب بأزمة هستيريا :

" لقد أصبنا في الوقع بديان بيان فو نفسه أن ما قد حدث غير مقبول، إنه لا يعقل إن مثل هذا الحادث يحدث"

ثم يوضح المبعوث الخاص و يقول أن الناطق العام قد تجاهل المكان الذي كان يوجد به ،خاصة وأنه عادته أن ينطق برزانة وهدوء.

" بمجرد ما أرى علم جبهة التحرير الوطني إلا وأطلق النار، فهو علم العدو وليس هناك تردد.

- و الحاصل أيها المقدم. لو تطلب الأمر أن تطلقوا النار على الجمهور ؟

- نعم ولو تحتم علي أن أطلق النار على الجمهور لان هذا الجمهور انتسب إلى جبهة التحرير الوطني نفسها وهي العدو..."

مثل هذا التصريح من طرف هذه الشخصية من ذلك المستوى لمرآة صادقة للواقع المر الذي ظلت السلطات الرسمية مرتبطة به منذ اندلاع الثورة الجزائرية فهم لازالوا يحملون بالماضي الغابر ،لازالوا يتجاهلون الواقع للشعب الجزائري وثوابته حتى بعد اندلاع الكفاح المسلح ..فيا لها من أساطير، و يا لها من أوهام راسخة في أذهانهم.

وبذلك التصريح يبين أيضا نكبة كل من كان يفكر بواقعية القضية الجزائرية تك النكبة التي أصبحت بمثابة " ديان بيان فو النفسية ".

وهكذا فإن هذا الاعتراف الواضح يطوي الصفحة الأخيرة لسجل طويل أغرقته دماء شهداء [8] مظاهرات الأيام الثلاثة الخالدة ، ومزقته شعارات النساء و الشبان و الأمطار الغزيرة تتهاطل بدون انقطاع، فكان الفاصل و القاطع بين الماضي المظلم و الحاضر المشرق...

3 -استخلاصات المظاهرات :

بالرغم من التحاليل المتقدمة لإدراك معاني ونتائج هذه الأيام التاريخية فإن الحادث لازال يحتاج إلى البحث المعمق والمركز نظرا إلى أهميته والأبعاد التي أخذتها في مرحلة كادت تفشل كل أو معظم المجهودات المبذولة.

علينا الآن بتسليط الأضواء على أهم النتائج التي أوضحتها المظاهرات للجميع أي لجميع المعينين بالأمر، وهم أطراف النزاع بالدرجة الأولى وكذلك الرأي العالمي وبالأخص كل ن ظل في الانتظار و الظن وهو غير مقتنع بشرعية القضية الجزائرية .

-ضربة قاضية للسياسة الفرنسية :

إن كان النظام السياسي الفرنسي قد تكيف مع الواقع منذ اعترافه بحق تقرير المصير 1959فإنه لم يكن مستعدا كل الاستعداد لتطبيق ذلك إذ أن هذا الاعتراف كان كما قلنا وكررنا مجرد مناورة لا أكثر، وذلك لربح الوقت قبل كل شيء نظرا إلى موقف الجيش ومعرضة أوساط سياسية معينة وحتى داخل الحكومة الفرنسية حينما تكلم عن " الجزائر الجزائرية".

وفي الواقع أن رئيس الجمهورية نفسه غير راغب في تطبيق الحقيقي لهذا الحق وهو لازال متمسكا بالسياسة التي حضرها من عودته إلى الحكم في سنة 1958 ، فلقد رفض المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني في أواخر جوان 1960 وأراد أن تكون عبارة عن وقف إطلاق

النار بدون ضمانات وما سلم الكرماء إلا استسلام لا غير ....وأكثر من ذلك بقي يتجاهل ممثلي الجبهة وكأن هذه الأخيرة منظمة إرهاب يطلب منها دائما إما إيقاف العمليات أو الاستسلام..وحينما يضطر إلى الحوار مع ممثليها يطالبهم بوضع السكين بحبة نزل الألبسة فتلك هي طبيعة هذا الجنرال العجوز الذي انقد فرنسا مرتين في تاريخها، المرة الأولى بعد غزوها من طرف الجيوش النازية ،والمرة الثانية بعد تحطيم الجمهورية الرابعة اثر حوادث 13 ماي 1958 أي التمرد الأوربي والتواطؤ لبعض وحدات الجيش.

وهكذا فهو لا يريد أن يعترف بالحقوق الضرعية للشعب الجزائري إلا بتجاهله لمن فرض هذه الحقوق، أي الذين خاضوا المعارك في الجبال و المدن وواصلوا النضال خارج التراب الجزائري وهو ينالون التأييد حتى داخل الأوساط الغربية وبعض البرلمان في العالم الغربي نفسه.

وهل مثل هذه المظاهرات قد غيرت موقف الجنرال دي قول بعدما أدخل على زيارته الميدانية تغييرا وأوقفها بيوم قبل الموعد المذكور سابقا، مصرحا بمدينة بسكرة يوم 13 ديسمبر [9]؟

" لقد سمحت لي هذه الزيارة بادراك المعيار الحقيقي للقضية الجزائرية " فإن مواصلة الكفاح بشتى المظاهر بعد ذلك وأثناء سنة

واحدة وستة أشهر لا تؤكد هذا التصريح والسبب في ذلك يرجع من دون شك موقف الجيش ومن يبقى وراءه.

-تصلب العناصر المتطرفة للجيش الفرنسي :

إن مخلفات كل من حوادث 13 ماي 1958 والحواجز بمدينة الجزائر في آخر جانفي 1960 لا زالت تؤثر وتغذي طموحات بعض العناصر بل وحدات معينة ألا وهي وحدات المظليين وبعض الجنرالات السابقين والعاملين داخل الجيوش المتواجدة عبر التراب الجزائري، مثل هذه المظاهرات لا تتركها مكتوفة الأيدي إذ أنها شعرت بالهزيمة وعليها أن تستجيب إلى الوقع المر، وبالفعل أثناء المظاهرات للأيام الثلاثة شاعت إشاعات كثيرة حول فرار بعض الضباط وتمردهم .

وكل هذا وقع في الأوساط لفرنسية فيجعل معظم الأحزاب تعارض القضية الفرنسية فيجعل معظم الأحزاب تعارض القضية الفرنسية وهي تسيطر أو تسعى للسيطرة على الرأي الفرنسي وهي تنظم استعراضات ومظاهرات وذلك أنها تراقب أيضا عدا كبيرا من الوسائل السمعية البصرية ، خاصة وانه بالنسبة للسلطات الحاكمة أن القانون يعاقب كل من يمس بسمعة الجيش كما لوحظ ذلك أثناء محاكمة أنصار شبكة جانسون.

وهكذا فإن كل الأوساط المتطرفة من جيش وأحزاب وفئة مدنية معينة قد اصطدمت بالمظاهرات وتفاجأت بها فأعادت النظر وهي

معظمها ترفض دائما شرعية القضية الجزائرية، بل أصبحت تستعد وتتأهب للمحافظة على النظام أي قم الماضي الغابر، إلا أن التمسك بذلك أصبح يتناقض مع الواقع الجديد، واقع ما بعد المفاوضات للأيام الثلاثة الخالدة.

وعليه احتمالات تكرارا حوادث أخرى من طراز 13 ماي، أو الحواجز يبقى محتملا في الأشهر المقبلة، خاصة وأن نخبة الجالية الأوربية في تصلب أكثر مما مضى.

-تنكر الجالية الأوربية للواقع :

إن مثل هذا التنكر كان متوقعا، لكن بالنسبة للملاحظين وكذلك للرأي الفرنسي والدولي له دلالة واضحة فهو ينفي من دون شك كل تعايش و بالتالي المستقبل نفسه، ذلك أن أطروحة السلطة الحاكمة أشادت بحوادث 13 ماي وبالأخص تلك المظاهرات المصطنعة و المسماة بالتآخي Fraternisation[10]، ومخلفات مثل هذه الحوادث تل تؤثر دائما على المعنويات وحتى على مجرد الأحداث خلال كل مدة استمرار الكفاح.

لكن المظاهرات أبطلت نهائيا تكرار السيناريو المتوقع وضربت قاضية على كل محاولة رامية إلى تواطؤ بعض العناصر الجزائرية إلى جانب مصلحة الأوربيين، أن كل الأحلام السابقة من هذا الأسلوب قد تحطمت تماما.

والسيناريو المتوقع كان يتمثل خلال أسبوع زيارة رئيس الجمهورية التفقدية في شبه انقلاب عسكري مقنع تكون الغاية منه بعد أحداث فتن بين الجاليتين تدخل وحدتين من المظليين، وهما الوحدتان، الأولى و الثانية للفيف الأجنبي المعروفتان بولائهما اللامشروط للمتطرفين الأوربيين، وحينئذ تسهران على حفظ الأمن بالمدينة ثم يتم إنشاء وتنصيب " لجنة الجزائر الفرنسية " يتولى رئاستها الجنرال " جوهر "، وهو جنرال سامي قد استقال منذ شهر أكتوبر الفارط وبقي بالجزائر وهو يمثل مصنعا من الورق للتغليف، ولتدعيم هذه اللجنة استعدت شخصيات معينة للانضمام إليها ومنها مقربون من القصر الجمهوري وقصر الحكمة وكذا أربع قواد بارزين للمتطرفين وهم بصدد المحاكمة لكن أفرج عنهم مؤقتا فجأة وقد فوا إلى اسبانيا استعدادا للتآمر.

ذلك ما كشف عنه أحد المتتبعين آنذاك [11]، وفشل ذلك ما كان غير منتظر والذي تمثل في الزلزال الذي فجر الجماهير الجزائرية وبذلك قد انتهت أسطورة التآخي وكل ما يذكر بحوادث 13 ماي 1958،إذ أن التاريخ لا يكرر نفسه أبدا وذلك أن الظروف غير متكررة وأن استوفت بعض الشروط .

4 - **استقطاب الرأي الفرنسي والدولي مع الاقتناع العام** :

تلك هي النتائج التي كانت منتظرة من طرف كل الذين أيدوا القضية الجزائرية منذ المرحلة الأولى لاندلاع الكفاح المسلح،

وشرعوا بعد ذلك يتبصرون شهرا بعد شهر تصاعد العمليات الدموية والقمعية عبر التراب الجزائري، و السلطات الحاكمة في تصلب وتنكر حتى بعد إعلانها عن اعتراف بحق تقرير المصير، وهذا بالرغم من إبراز أحداث مصيرية، وتأييد واضح لبعض الشخصيات الفرنسية وحتى الدولية كما رأينا.

وعليه فإن المظاهرات للأيام الثلاثة قد ساهمت كثيرا وأكثر مما مضى في تدعيم الأوساط المحبة للقضية الجزائرية، خاصة وأن هذه الأيام الثلاثة جاءت بعد تلك الأصداء وردود الأفعال المختلفة والايجابية الناتجة عن محاكمة شبكة جانسون وتزامنها مع نشر بيان 121، ولذا لا بد من ذكر أهم ما نجم عن هذه المحاكمة التي تمت في قلب باريس وأمام الرأي العام الدولي و التي طرحت خلال شهر كامل (سبتمبر 1960) أهم المعطيات لهذه الحرب الابادية كما أنها كشفت القناع عن قضايا خطيرة ظلت مكتومة للرأي العام بفرنسا وخارجها.

هكذا وخلافا لما كانت تتوقعه السلطات الرسمية، فإن هذه الفرصة كانت غالبا في صالح القضية العادلة الجزائرية وكذلك في صالح أوساط الفرنسيين الذين أيدوها بدون شرط وهم الآن يحاكمون عليها فقد أوضح المتهمون، جزائريون وفرنسيون [12] عدالة الكفاح وضرورة مساندة القضية من طرف الفرنسيين وهذا من أجل نصرة قضية المكافحين من جهة، وكذلك محاربة قوى

الرجعية بفرنسا من جهة أخرى، وقد تعرض المحاكمون عليها ومحاموهم إلى طرح تلك القضايا التي مست سمعة الجيش والشرطة والمبادئ الجمهورية نظرا إلى استعمال وتعميم التعذيب والتقتيل الجماعي، وغير ذلك من اختراق القوانين المعترف بها دوليا مثل اتفاقيات جنيف لسنة 1949... ولعل أبرز ما جاء خلال هذه المحاكمة ما طرحته بعض الاتهامات وعلينا أن نكتفي بتدخل النقاش الذي أثارته شهادة الفيلسوف فقد بعث برسالة وقد قرئت يوم 16 سبتمبر، وفيما يلي الفكرة الرئيسية الجوهرية :

"للمرة الأولى،وبالرغم من كل العقبات، وبالرغم من كل الأفكار المسبقة، وبالرغم كذلك من كل الاحتياطات، أن الجزائريين والفرنسيين،متحدون بفضل كفاح مشترك يوجدون جنبا إلى جنب في هذه المحكمة، ولا جدوى لتفريقهم [13].

بل ذهب إلى أكثر من هذا وقد أوضح أيضا استعداده للمشاركة الفعالة في مساعدة الثوار الجزائريين لو طلب منه ذلك جانسون وذلك بحمل أموال الثوار واستضافهم وإيوائهم في منزله لو تطلب الأمر ذلك.

ومثل هذه المواقف تعد مبررا للانفجار الشعبي فتؤكد كل التأكيد ما كان يبذله التمثيل الدبلوماسي لجبهة التحرير عبر القارات، وهكذا كل الذين استجابوا للقضية الجزائرية أصبحوا

الآن مقتنعين وهم يواصلون دعمهم بكل إيمان وثبات في مختلف الأوساط من اجل مواصلة التأييد.

ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نعود إلى شهادة معينة نشرت مؤخرا وهي تمثل تلك المواقف والتي ما كان يستطيع الملاحظ أن يدركها آنذاك وذلك لأنها تختص بشخصيات عالمية تنتمي إلى بلد محايد، وهي سويسرا، فها هو المحامي جان فلافيان لاليف، النائب العام للجنة الدولية للحقوقيين يهتم بمصير الكفاح ويخصص له مقالا في إحدى منشورات تلك اللجنة قبل المظاهرات [14]وقد واصل النقاش بهذا الصدد مع زملائه داخل وخارج بلده وبالأخص مع المحامي نيكوليت، وهي شخصية بارزة في مدينة جنيف واللقاء قد تم في منتصف شهر نوفمبر 1960 أي شهرا قبل اندلاع المظاهرات التاريخية .

وهكذا نلاحظ غير هذه الإشارات، الأهمية التي كانت تحظى بها القضية الجزائرية المتواصلة منذ أكثر من ست سنوات، ومما لا شك فيه أيضا أن مثل هؤلاء الشخصيات سيلعبون دورا هاما في مثل هذه الآونة...أي قبيل اندلاع المظاهرات، أي منتصف شهر نوفمبر.

وما قيل بالنسبة لهذه الشخصيات التابعة للأوساط القانونية العالمية داخل العالم الغربي للنقابات الحرة و التي نددت بجرائم الجيش الفرنسي كما وقع ذلك اثر اغتيال مؤسس الاتحاد العام للعمال الجزائريين، وهو السيد عيسات ايدير.

وفي الواقع أن هذا الاهتمام المتزايد راجع أيضا إلى المبادئ التي تبنتها جبهة التحرير الوطني ،. وكذلك التضحيات الجسام التي تحملها الشعب الجزائري وهو يقاوم أكبر جيش استعماري ،فساهم في نصرة العدالة وتحرر شعوب إفريقيا ، وكل هذا إلا وكان في صالح كل من كان يعمل من اجل تغيير الأوضاع في العالم الثالث .

وإذا ما سرنا إلى الأوساط القانونية بسويسرا،يتحتم علينا أيضا أن نتعرض إلى أوساط أخرى وبالأقل الأوساط الإيطالية ، من نقابات و النخبة المثقفة بحيث أن هذه الأخيرة قدمت مساعدة معتبرة تمثلت بالأخص في نشر عدد هام من الدراسات في مدينة ميلان سلطت الأضواء فيها على مختلف جوانب الكفاح المسلح بالغتين :الإيطالية و الفرنسية ،وهي دراسات دقيقة توضح كل ما كان يحاول الإعلام الفرنسي أن يتجاهله ويخفيه [15] .

الخلاصة:

وهكذا ولأول مرة وأمام الجميع، وبعد ست سنوات متوالية من الكفاح الشامل و المتصاعد حدث فجأة الانفجار الشعبي، تلك المظاهرات الشعبية التي حطمت نهائيا أحلام وأساطير ما كان يسمى بالجزائر الفرنسية بالنسبة لكل الجالية الأوربية إذا ما

استثنينا أقليات محدودة وكذلك معظم الأحزاب السياسية الفرنسية المتقيدة بالماضي .

وأما بالنسبة للسياسة التي أصبح يشخصها ويشرف عليها مباشرة مؤسسة الجمهورية الخامسة، أي الجنرال ديغول، فقد اتضحت جليا الأوضاع إذ أن صاحب هذه السياسة قد اصطدم فجأة هو الآخر بالواقع الجديد، فها هي كل الأنظار تتجه إليه وتطالبه أكثر مما مضى بالاستجابة الفورية لمتطلبات شعب طالما كافح وضحى من اجل تحرره وتعايشه مع كل الشعوب المحبة للسلم والكرامة.

فها هو الجنرال ديغول أمام أحداث خطيرة ،فقد أصبح لأول مرة مجبرا على إيجاد حل سريع يتماشى والحقوق المشروعة للشعب الجزائري، وما الإعلان عن حق تقرير المصير يوم (16-09-59) إلا مناورة من اجل ربح الوقت، ومضي هذه المدة الكاملة قد كلفت الشعب الجزائري المزيد من التضحيات في مختلف الجبهات، وقد آن الأوان لتطبيق حق تقرير المصير، ومثل هذه العملية لا تخلو من أخطار وهو يدركها كل الإدراك نظرا إلى رؤيته الشخصية، ونظرا أيضا إلى ...وضعية بعض العناصر للجيش.

المراجع

1- Leuliette : Saint Michel et le Dragon, Paris, éd. Minuit, 1961.
2- Droz B, Lever E : Histoire de la guerre d'Algérie, 1954-62, Paris, Seuil, 1984.
3- Eveno P, Planchais J : La guerre d'Algérie, dossier et témoignages, Alger, Laphonic, 1990.425p.
4-Jacob A : D'une Algérie à l'autre, paris, Grasset, 1963, 237p.
5-Haroun A: l'Algérie des colonels, journal d'un témoin (juin 1958-fev.1959), Paris ,1959.
7-Lentin P A : l'Algérie du dernier quart d'heure, Paris ,1964.
8-Long.O : Le dossier secret des accords d'Evian, une mission pour la paix en Algérie, Alger, OPU, 198p.
9-pétu M : Le procès du réseau F. Jeanson, Paris, Maspéro .1961, 245p.
10-Sari. D j : Huit jours de la bataille d'Algérie, Alger, ENAL ,147p.
11- Kalache, A : Manifestation, colloque international, 24-28Novembre 1984, Alger, ENAL,p30-33.

الهوامش

1 -بيان أول نوفمبر يعد بمثابة ميثاق وطني كما جاء في خاتمة الوثيقة، وقد تضمن الأهداف و المبادئ للكفاح المسلح، وبعد استرجاع السيادة الوطنية، النص الكامل نشر في عدة مراجع، منها 3 ص.83 -و1ص.386 -388.

2 - يومية Le d'Algérie Quotidien بتاريخ 18 -12 -60

3 -مرجع 2، 231 و 3 ص246.

4 - مرجع 4ص140.

5 - يومية le Monde بتاريخ 13 -12 -60 ص3.

6 -مرجع ص.11.30 -34، وقد أوضح ذلك أيضا بدقة القدم سليمان بوعتبة 3 ص.178 -180.

7 - مرجع 4ص99.

8 - وأما حصيلة الضحايا دائما بعيدة كل البعد عن الواقع وكل المتتبعين قد لاحظوا ذلك كما أوضحه لوتين في مساء يوم الأحد 1 ديسمبر وهو يسجل الحصيلة الرسمية وحينما أعلن عن 61 ضحية من بينهم 6أوربيين ، فقد قيل له أن هذه الحصيلة وحدها قد خصت حيا واحدا وشأن هذه الحصيلة أنما هو شأن حصيلة 8 ماي 1945 وغيرها من الإحصائيات الرسمية .

9 -يومية لومند 14 ديسمبر 1960

10–أن هذه المشاهد التي تمت في يوم 16 ماي 1958 بساحة الفوروم بالقرب من مقر الولاية العامة، قد تمت في ظروف معينة، فقد أجبر الجيش السكان من الحي العتيق ونقلهم بواسطة الشاحنات بعدما أخذ منهم بطاقات التعريف وأتى بهم إلى الساحة المذكورة ووضعهم بجانب الأوربيين وأجبرهم بإلقاء شعارات مؤيدة للجزائر الفرنسية، بل أكثر من ذلك فقد تبادل الطرفان كلمات الترحيب، كما أن بعض النساء قد مزقن رمز التقليد ، إلا أن النساء المعنيات بالأمر لا تمثلن إلا أقلية معينة، وبعد انتهاء المظاهرات يرجع المتظاهرون إلى منازلهم بواسطة الشاحنات وحينئذ تسلم إليهم بطاقات التعريف، وهو الأمر الذي أجبرهم على الخضوع، كما بين ذلك مرجع 6 ص40 -41.

11 - مرجع 6 و7 ص 139: ومن بين مديري العملية يذكر الكاتب العقيدين. Romain– Defossés و Dufour

12 -مرجع 9 والكتاب يتضمن ما جاء في التدخلات و كذلك بعض التعاليق مع خاتمة لأحد المحامين وهو جاك فرجيس.

13 -مرجع 9ص119.

14 - مرجع 7ص21.

15 - مرجع 5.